العرب
الأربعاء 2019/11/13
السنة 42 العدد 11527

لوجستيات وكواليس الثورة العراقية

سلام سرحان
كاتب عراقي

تركز معظم التقارير، التي تغطي أحداث الثورة العراقية على بسالة الشبان، الذين يواجهون القناصين ومختلف أنواع الأسلحة، لكن القليل منها يركز على البنية الداعمة لاستمرار تلك الاحتجاجات من خدمات لوجستية مثل توفير الغذاء والمستلزمات الطبية وعشرات الخدمات الأخرى.

قد يبدو للوهلة الأولى أن هناك بعض المبالغة في إشادات عدد كبير من المراقبين بالثورة العراقية، عند وصفها بأنها استثنائية وتمثل ظاهرة فريدة بين جميع ثورات العالم، لكن التمعن في الصور وتسجيلات الفيديو، يؤكد أنها كذلك بالفعل.

تتجه الأضواء إلى الأبطال المحتجين، لكن الذين يساهمون في إيصال مئات المستلزمات، يساهمون بدرجة كبيرة في إدامة زخم الثورة، إضافة إلى كل ربة بيت فقيرة تحرم بيتها لإيصال الغذاء إلى المحتجين

العنصر الأول في استثنائية الثورة العراقية، هو حجم المخاطرة بالحياة، التي ينطوي عليها الخروج إلى ساحات الاحتجاج، في ظل القسوة المفرطة التي تستخدمها قوات ملثمة تطلق الرصاص الحي وقنابل دخانية، أكثر فتكا من تلك المستخدمة في دول أخرى في مواجهة المتظاهرين داخل المدن، إضافة إلى ثبوت احتوائها على غازات سامة.

عدد القتلى في أكثر التقديرات الرسمية تحفظا يقارب 400 شخص، في وقت تقول فيه تقديرات أخرى إنها أكثر من ذلك بكثير، بسبب أعداد الجرحى التي تزيد على 15 ألفا والذين لا يذهب معظمهم إلى المستشفيات خشية ملاحقة الميليشيات لهم واختطافهم.

لكن الجانب الخفي يكمن في اللوجستيات، التي تقدم بعض تسجيلات الفيديو جانبا ضئيلا منها، وهي تبدأ بمئات المطابخ التي تعد الطعام وتوفر المشروبات وشحنات هائلة من قناني البيبسي وبعض المحاليل التي تستخدم في معالجة آثار الغازات التي تطلقها الميليشيات والقوات الأمنية.

ورشة اللوجستيات تمتد إلى توزيع آلاف الأقنعة على الوافدين إلى ساحات الاحتجاج، لتفادي تأثير الغازات المسيلة للدموع والغازات السامة وآلاف الخوذ لحماية رؤوس المتظاهرين من القنابل الدخانية التي تتعمد الميليشيات إطلاقها على الرؤوس، والتي يزيد وزنها على عشرة أضعاف القنابل التي تستخدم عادة لتفريق احتجاجات المدن.

مواقع التواصل الاجتماعي تعرض أعدادا هائلة من تسجيلات فيديو لأعمال إنشاءات لبناء مرافق صحية وحمامات في بناية المطعم التركي لتسهيل إقامة المحتجين، إضافة إلى توفير مستلزمات التنظيف وأعمال كثيرة يقوم بها المحتجون لترميم ساحات الثورة وآلاف البطانيات وفرش النوم التي تدفقت على الساحات.

لا يمكن إحصاء أعداد الخيام المنتشرة في ساحات الاحتجاج وخاصة في المناطق الخلفية لساحة التحرير في بغداد باتجاه ساحة الطيران وشارع السعدون.

أبرز تلك الخيام مخصصة للمفارز الطبية، حيث تركت أعداد كبيرة من الأطباء أعمالها وتجمعت فيها، إضافة إلى أعداد كبيرة من طلاب كليات الطب، وتظهر التسجيلات أن تلك الخيام مليئة بكميات كبيرة من الأدوية والمستلزمات الطبية.

هناك أيضا تسجيلات عن إنشاء مكتبات وإصدار جريدة يومية في ساحة التحرير وخدمات إلكترونية واسعة لجمع الصور والبيانات وشحن الهواتف والتنسيق بين جميع فرق الخدمات اللوجستية.

الأضواء الساطعة في ليل ساحات الاحتجاجات، وخاصة ساحة التحرير في بغداد، والتي تضم آلاف المصابيح والنشرات الضوئية، تكشف عن أعمال أخرى واسعة لتوفير مولدات الكهرباء، حيث يؤكد المحتجون أن السلطات قطعت الكهرباء عن تلك الساحات وأن جميع الكهرباء هي من مصادرهم الخاصة.

وتظهر تسجيلات أخرى أعدادا كبيرة من الفنانين وهم يلونون الجدران، وفرق تنظف الشوارع وترممها وتصبغ الأرصفة، وهو مشهد يخفي وراءه الكثير من النشاطات اللوجستية ومصادر توفير تلك المواد.

صورة ما يحدث في الساحات من بسالة المحتجين وعجلات التكتك التي تنقل تلك المستلزمات والجرحى، لا تكشف عن كل جوانب وشرايين الثورة والأعمال التي يقوم بها جنود مجهولون على أطراف تلك الساحات.

ويكشف ذلك عن عمق شعبي هائل يدعم الاحتجاجات ويوفر لها أسباب الاستمرار من خلال توفير المواد الغذائية والمستلزمات الأخرى.

لا بد أن تكون خلف كل ما يحدث في ساحات الثورة، شرايين واسعة لإيصال تلك المواد. ولا بد أن عددا هائلا من الأشخاص، قد يفوق أعداد المحتجين تساهم في التبرع بتكاليف تلك المواد وتعمل على إيصالها إلى الساحات.

كما تكشف عن تنسيق واسع فيما بينها، حيث لا يمكن أن تصل كل تلك القوائم الطويلة من آلاف المستلزمات دون تنسيق يحدد ما تحتاجه ساحات الاحتجاج، ناهيك عن أعمال التنظيف وإخراج المخلفات من الساحات.

هناك حاجة يومية إلى عشرات أطنان المواد الغذائية وأطنان من عبوات المشروبات والأدوية والوقود ومستلزمات البناء والمولدات الكهربائية، التي يبدو أن أعدادها تتزايد يوما بعد يوم من خلال تزايد سطوع الأضواء.

هناك جدل بشأن عدم اشتراك محافظات نينوى والأنبار وصلاح الدين في الاحتجاجات، لكن مصادر في ساحات الثورة تؤكد أن الكثير من التموين والمستلزمات تصل من تلك المحافظات.

قد تتجه الأضواء إلى الأبطال المحتجين، لكن دور سائق سيارة يتبرع بماله ووقته وجهده لإيصال ما يحتاجه المحتجون، يساهم بدرجة كبيرة في إدامة زخم الثورة، إضافة إلى كل ربة بيت فقيرة تحرم بيتها لإيصال الغذاء إلى المحتجين.

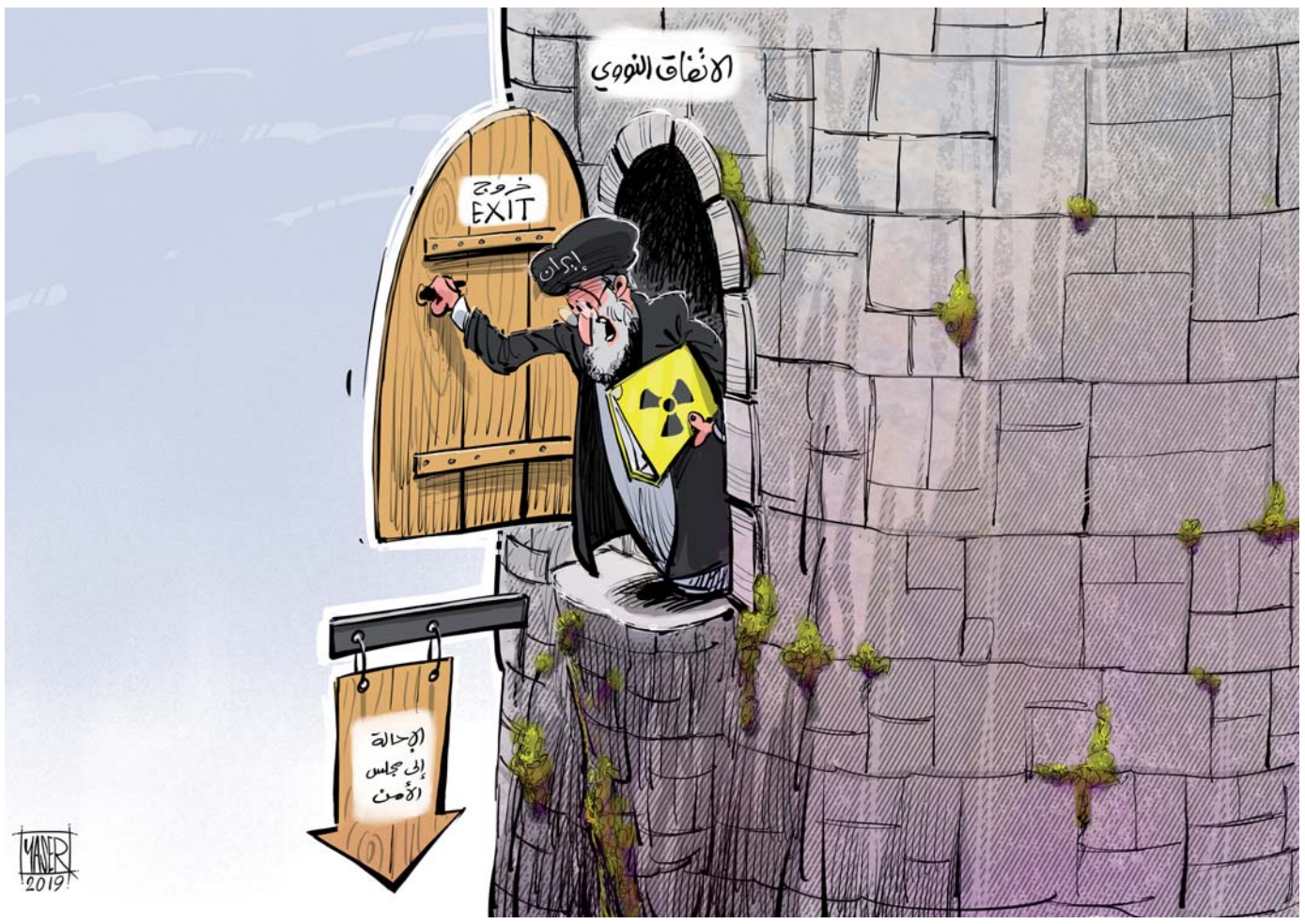

ليبرمان ومأزق التشكيل الحكومي في إسرائيل

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

كان محللو الشأن الإسرائيلي قد أجمعوا قبل الانتخابات الإسرائيلية العامة لـ"الكنيست 21" في أبريل 2019 على أن أفيغدور ليبرمان، رئيس حزب "إسرائيل بيتنا" العلماني، سيكون اللاعب الذي يحسم أمر الحكومة. فعلى الرغم من وجود كتلتين كبيرتين، تحصل كل منهما على ضعف عدد مقاعد ليبرمان، لكنها لا تستطيع تحقيق أغلبية، ولن تتأهل دون ليبرمان لتشكيل الحكومة.

وبسبب عقدة ليبرمان أمام منشار السياسة الإسرائيلية، أعيدت الانتخابات العامة مرة أخرى في شهر سبتمبر، دون أن تفتح نتائجها طريقا للتشكيل الحكومي، لأن الأمر لا يزال يقف أمام عقدة ليبرمان. بل إن هذا السياسي المتشدد، معقد آمال اليهود الروس، كان هو نفسه، سبب إجراء الانتخابات العامة في إبريل وفي سبتمبر، وفي حال اضطرت إسرائيل إلى انتخابات ثالثة في مطلع السنة الجديدة، فسيكون هو سببها أيضا!

هذه المرة، استشعر ليبرمان في نفسه القدرة على تحذير الكتلتين الكبيرتين "الليكود" و"أزرق أبيض" فعرض عليهما الحلول للخروج من المأزق، الذي لا تزال إسرائيل تفتش عن مخرج منه!

كثيرة هي الأسباب التي هيأت لأفيغدور ليبرمان أن يحقق هذه المكانة، لعل أهمها أو جذرها، منطق الأصولية "الحريدية" التي جمعت بين التطرف السياسي والتطرف الاجتماعي، وأظهرت في ربع القرن الأخير نزعة التأفف من المهاجرين الروس، الذين رأهم الحاخامات مصدر تهديد للثقافة الدينية في الدولة وللتقاليد اليهودية.

في هذا المنحى، تصبح الدولة التي قامت على الهجرة، تكره المهاجرين، بعد أن وقعت تحت قبضة الأصوليين، الذين رجحت لديهم الأسرلة، أي الأخذ بالخصوصية الإسرائيلية التي تشكلت، لاسيما بعدما حسموا ملامحها العامة في الاتجاه المعاكس للثقافة الديمقراطية، بحيث يكون من هم خارج حدود التقاليد اليهودية الحريدية، أشبه بالغرباء الذين يفسدون المجتمع الإسرائيلي في ناظر التيار الأصولي.

هذا المنطق، هو السبب الرئيس للتشظي السياسي الذي تشهده إسرائيل الآن، ومن بين الأسباب الأخرى سقوط ما يسمى بالتيار القومي، الذي أنشأ الدولة، وتراجع اليسار، وتعويم فكرة العار من أن تعتمد أي كتلة يهودية في "الكنيست" على صوت كتلة عربية، تمثل السكان غير اليهود.

وفي هذا السياق، اندفع الصهيوني المتطرف أفيغدور ليبرمان إلى العلمانية. فمن جهة، هو روسي من مولدافيا، يستفزه موقف الحاخامات وعلماء الاجتماع المؤيدين لهم، الذي يصنف الروس بكونهم ذوي تقاليد غريبة عن المجتمع، ومن جهة أخرى، يرى في "الليكود" بيئة مغايرة لبيئته، إذ تعتمد على الأصولية المتشددة دينيا، لكي تظل طافية على سطح الحياة السياسية في إسرائيل، بينما كانت مهنة ليبرمان الأولى في مولدافيا، ضبط السكارى في إحدى الحانات!

وفي الحقيقة، لم ينعكس جموح الحريدية الأصولية المتطرفة على حزب ليبرمان وحسب، بل كان سبب انشطار اليمين الإسرائيلي أفقيا ورأسيا، دون أن تفارق الأجزاء يمينيتها. فقد تشكلت سريعا وصعدت كتلة "أزرق أبيض" التي يترأسها بيني غانتس، الرئيس الأسبق لهيئة الأركان العامة للجيش، ومعه مجموعة من رؤساء أسبقين لهذه الهيئة، وجنرالات وساسة، أرادوا إعادة إسرائيل إلى سياقها الديمقراطي كما يقولون.

وبحكم كون الرمزية ومآثر رحلة التحقق اليهودي الصهيوني تشكل عاملا مهما في تشكيل الزعامة، فإن غانتس، اليهودي الهنغاري، وُلد في مستوطنة إسرائيلية لليهود غير المتدينين، لأسرة ناجية من "المحرقة" كانت ضمن سفينة "حاييم الروزروف" الشهيرة ذات الرحلة الدرامية، وكان أبوه نائب رئيس الوكالة اليهودية وأحد أبرز دعاة الاستيطان في فلسطين.

مع الصعود السريع لكتلة علمانية يترأسها غانتس، مقابل الكاريزمية التي كرسها نتنياهو لنفسه داخل حزبه الكبير، آنس أفيغدور ليبرمان في نفسه القدرة على الاشتراط.

وفي الواقع، سُمعت الرؤوس كلها تشترط على بعضها البعض. غانتس يقبل "الليكود" دون نتنياهو كشرط، وهذا الأخير يقول إما أنا والليكود، غير منفصلين، وإما الصراع كشرط. وليبرمان يلتقي مع غانتس في الرغبة بإحالة نتنياهو إلى القضاء، فيرفع نتنياهو وتيرة التهاجي ويجعل ميل غانتس إلى الاستعانة بالكتلة العربية لتمرير حكومة يشكلها، عارا عليه وينال من صهيونيته، لأن العرب يتمنون، كما يقول، "إبادة إسرائيل"!

عندما أصر ليبرمان على أن "حكومة الوحدة" هي النتيجة الوحيدة الممكنة، التي ستحول دون الذهاب إلى انتخابات ثالثة، طالب "أزرق أبيض" و"الليكود" بأن تتقدم كلٌ من الكتلتين نحو الأخرى، وأن تتفاوضا على الخطوط العريضة لمنهجية الحكومة، على أن يدع نتنياهو كتلته وشأنها، قائلا بنبرة تحذير "إن لم يتخذ شخصٌ ما القرار الصحيح، فإن حزبنا سوف يستخلص النتائج"!

وبينما الأقطاب تخوض في لعبة شد الحبل، وفي الوقت الذي يمارس فيه نتنياهو لعبة القط والفأر مع القضاء الإسرائيلي، أحس قطاع عريض من الإسرائيليين بخطر الوقوع في مأزق أعمق وحدوث اضطراب داخلي. فقد تذكر الكثيرون تلك الأيام التي كثف فيها "الليكود" ومحيطه الحزبي ومعه الأصوليون وأعضاء "كنيست" الهجوم على إسحق رابين، حتى استقرت الرصاصات في رأسه. فها هم هؤلاء أنفسهم، يشنون حربا على سلطات تطبيق القانون، ويحاولون ليّ ذراع الدولة، ونشر هستيريا تحريض على من يقفون في وجه نتنياهو، لمواجهة افيحاي ماندلبليت، المستشار القانوني للحكومه، وتخويفه من اتخاذ القرارات الواجبة ضد بنيامين نتنياهو، الذي أصبح يلوم نفسه على إضاعة فرصة التوصل إلى صفقة تحول دون تقديم لوائح اتهام ضده.

ويراهن نتنياهو الآن على استمرار ماندلبليت في الصمت، وعلى إخراج المرأة القوية التي عُينت نائبة للمدعي العام، وهي ليئات بن آري، المسؤولة عن حقيبة الجرائم الضريبية والاقتصادية في مكتب الادعاء العام، واستبدال شخصية ضعيفة بها. غير أن قطاعا عريضا من الإسرائيليين، يرى أن حل المأزق السياسي لا يزال رهن ماندلبليت حين يتحلى بالقدر المطلوب من الشجاعة.

ويكمن المأزق في اضطرار الساسة المتعجلين إلى البحث عن حلول وسط، قبل أن تنقضي المدة المحددة المتاحة لغانتس لتشكيل الحكومة.

هناك خطة بين غانتس وليبرمان لتمرير حكومة بأغلبية ضئيلة بإشراك القائمة العربية، لحين رمي نتنياهو إلى القضاء لينال جزاءه

ولعل من أطرف ما يجري الآن، هو الميل الذي ظهر لدى غانتس، إلى ارتجال حكومة بأغلبية ضئيلة، بإشراك القائمة العربية المشتركة، التي يترأسها أيمن عودة، مع نقيضها أفيغدور ليبرمان، على أرضية خطة بين غانتس وليبرمان، بحيث يصبر الأخير على دور القائمة العربية، لحين تمرير حكومة ذات قاعدة برلمانية ضعيفة، يُستفاد منها في شيء واحد فقط، وهو تجريد نتنياهو من ألقابه ومزايا وظيفته، ورميه إلى القضاء لكي يلقى جزاءه، ثم العودة إلى تشكيل حكومة ذات أغلبية مريحة، بمشاركة غانتس وليبرمان، تستغني عن تصويت القائمة العربية!

حتى هذه اللحظة، يؤدي ليبرمان دور اللاعب الذي يحسم، ويمكنه إحباط تشكيل الحكومة أو الذهاب إلى انتخابات ثالثة، وهدفه في النهاية، التخلص من نتنياهو مرة وإلى الأبد، والاشتراط على "الليكود" بأن يتخلى عن اعتماده على الأصوليين المتطرفين، وله أن يتمادى في تطرفه السياسي ويمينيته مثلما يشاء.